الرِّسَالَةُ الخَالِدِيَّة

في

الرَّابِطَةِ النَّقْشَبَنْدِيَّة

أَلَّفَهُ

ذُو الجَنَاحَيْنِ القُطْبُ الكَبِيرُ مَوْلَانَا

ضِيَاءُ الدِّينِ أَبُو البَهَاءِ خَالِدُ

بْنُ أَحْمَدَ العُثْمَانِيُّ النَّقْشَبَنْدِيُّ

المُتَوَفَّى بِدِمَشْقَ : ١٢٤٢ هـ

حَقَّقَهُ وَعَلَّقَ عَلَيْهِ

عَبْدُ الجَلِيلِ العَطَا

البَكْرِيُّ

الرسالة الخالدية

في

الرابطة النقشبندية

أَلَّفَهُ

ذو الجناحين القطب الكبير مولانا

ضِياء الدِّين أبو البهاء خالِد بن أَحمَدَ العُثماني النَّقشبندِي

المتوفى بدمشق : ١٢٤٢ هـ

حقَّقَهُ وعلَّقَ عليهِ

عبد الجليل العطا

« البكري »

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لوليّه والصّلاة على نبيّه

الطبعة الأولى

شعبان ١٤١٨ هـ
كانون الأول ١٩٩٧م

دار النعمان للعلوم

دمشق - حلبوني - ☎ ٢٢٤٩١٠٧ ✉ ٣٠١٥٦

مقدمة الطبع

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين، وصلّى الله وسلّم على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحابته الغر الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد؛ فمن المعلوم أن مَن أحبَّ شيئاً أكثر من ذكره، كما أن من جهل شيئاً عاداه، ولهاتين المُسَلَّمتين صلةٌ وثيقة فيما نقدمه اليوم إلى روَّاد البحث العلمي، ومتذوقي الأثر العرفاني. ذلك هو موضوع «الرابطة».

والرابطة: هي أثر ذوقي مكتسب من حسٍّ روحاني مجتلب، لا يقام عليها دليل من الحسِّ، ولا يتعاطاها الناس بالمعاملة.

وقد اختلف فيها الناس اختلافاً بيِّناً، وتفاوتت آراؤهم تفاوتاً متباعداً، لأنها شأن خاصٌّ قرنت بفئة خاصَّة فعرفت بـ «الرابطة النقشبندية»، ولذا كان من الطبيعي أن ينكرها غيرهم؛ إذ لم يدركوا معناها، أو لم يقفوا على منشاها.

ولكن الغريب أن تجد من ينتسب إلى أصحابها مقرّاً بجلال شأن القائلين بها والدالّين عليها، ثم تجدَهم متصدِّين لجحودها؛ أو المبالغة في إنكارها!! ذلك هو الدافع لنشر هذه الرسالة القيمة التي خطّتها يراع إمام جليل يعترف بجلالة قدره وعلوِّ كعبه وبروز شأنه القاصي قبل الداني، ولا يخفى على قريب أو بعيد ما كان عليه من حجِّيّة ببيانه، ودلالة بحاله.

ذاك هو الخليفة الجليل والقطب الكبير العلاّمة الحُجَّة؛ أوحد أهل عصره علماً وعملاً وتقى وصلاحاً وهدى وتمكناً. . . .

إنه ذو الجناحين مولانا الجليل: أبو البهاء ضياء الدين؛ خالد شاه النقشبندي.

وقد جمع رحمه الله في هذه الرسالة القيمة الماتعة أقوال أئمة من المذاهب الأربعة وغيرهم قاصداً الردَّ على من أنكر هذه الرابطة الحسنى التي هي عند أصحابها نوع من أنواع الذكر القلبي الذي يجد فيه الصوفي النقشبندي صلة حقيقية ترتبط فيها روحه بأهل طريقته متصلة بالنبع الثر من المعين الحقيقي.

وقد سبق لهذه الرسالة القيمة أن طبعت أكثر من مرَّة، منها ما جعلناه أصلاً لهذه الطبعة، وهي مطبوعة قزان سنة ثمان وثلاث مئة وألف بمطبعة الخزانة ولست أدري - الآن - هل هي مطبوعة ضمن مكتوبات المولى خالد «بغية الواجد» أم لا!! فالله تعالى أعلم.

فإلى قرائنا الكرام نقدمها بهذا الثوب القشيب والحلية الموشاة سائلين الله تعالى لمؤلفها الرحمة ولناشرها القبول ولقارئها والعامل بها السداد والتوفيق.

بين يدي الترجمة

بسم الله الرحمن الرحيم

بينما كنت أُعدُّ لترجمة مولانا خالد رضي الله عنه لأقدِّم بها بين يدي هذه «الرسالة الخالدية» وجمعت مصادر الترجمة المطلوب الوقوف عليها؛ تذكرت رسالة قيمة تتحدث عن وفاة مولانا ذي الجناحين ألّفها الشيخ إسماعيل الغزي العامري (أحد تلامذته) وسمّاها:

« حصول الأُنس بانتقال مولانا إلى حظيرة القدس »

واستعرضت رفوف مكتبتي باحثاً عنها، فما إن عثرت عليها حتىٰ ارتاح الخاطر إلى الترجمة الشاملة التي قدمها الفاضل السيد أسامة التكريتي بين يدي رسالة الغزي، وهي مطبوعة بدمشق منذ أزيد من ربع قرن .

فوجدت فيها بُغيتي التي أنشد، وضالتي التي أروم .

وقد أثبتت هذه الترجمة بحرفيِّها ونصِّها ، ثم تخيَّرت لآخرها إحدى مرثيات المولى خالد رحمة الله عليه، والتي رثاه بها فقيه الدنيا تلميذُه العلامة ابن عابدين « صاحب الحاشية » والذي سبق له أن ألَّف رسالة في نصرته والدفاع عنه ونُشرت ضمن مجموع رسائله، وهي:

« سل الحسام الهندي لنصرة مولانا خالد النقشبندي »

أخي القارىء الكريم؛ أدعك الآن مع هذه السيرة الربانية ترتشف من معينها الرويِّ رَشَفاتِ الإيمان ومعالمَ الهدى سائلاً المولى تبارك وتعالى أن يَمُنَّ علينا وعليكم وعلى المسلمين أجمعين بالسداد والتوفيق .

وأن يلحقنا بركب المخلصين الأخيار والمصطفين الأطهار إنه نعم المولى ونعم النصير.

والحمد لله ربِّ العالمين .

عبد الجليل العطا البكري

ترجمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

نسبه : ذو الجناحين ؛ أبو البهاء ؛ ضياء الدين ؛ خالد بن أحمد بن حسين **العثماني** : لأنه يتَّصل نسبُه إلى ذي النورين ؛ أمير المؤمنين ، الخليفةِ الثالث : سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وذلك عن طريق الوليِّ المشهور بين الأكراد بـ « صاحب الأصابع الست » .

مولده : وُلِدَ ـ على الأرجح ـ سنةَ : ثلاثٍ وتسعين ومئة وألف بعد الهجرة ، أو قَريباً من هذا التاريخ ، بقصبة : قرة داغ من أكبر سناجق بابان ، وهي عن السليمانية على نحو خمسة أميال .

نشأته : وفي تلك المرابع التي تكتنفها الحدائقُ الجميلة ، وتنبع منها العيون العذبة نشأ رحمه الله تعالى ؛ تبوحُ له النجوم إذا تلألأت ، والنسائم إذا تنفَّست ، والورود إذا تبسَّمت بسرائرها ، فتلقَّىٰ منها أوَّلَ دروسه في التوحيد والتمجيد ، وتعلَّم في مدرستها دوامَ الذكر ، والثناءَ علىٰ الله ، والتسبيحَ .

وأضاف إلى ما وعاه عن الكون حصيلةً جديدة عندما ارتاد بعضَ دور العلم ؛ فقرأ القرآن الكريم ، وتعلَّم النحو والصرف ، ودرس الفقه ، وبرع في النثر والنظم ، هذا كلُّه ؛ ولم يبلغ الحلم بعد .

ولم يؤخِّره طلبُه العلومَ عن تربية نفسه ورعايتها ، فراح يدرِّبُها علىٰ الزهد والسهر والتجريد والانقطاع علىٰ قدم أهل الصفَّة ، رضي الله تعالىٰ عنهم ؛ أجمعين .

الرحلة العلمية : وما لبث أن حمل زادَ السفر ؛ متنقلاً بين البلاد الشاسعة .

وبعد جولة واسعة في ابتغاء العلم رجع إلى نواحي وطنه ، حيث تتلمذ على الشيخين الأخوين الفاضلين : السيد عبد الكريم البرزنجي ، والسيد عبد الرحيم

البرزنجي ، وعلى العالم الشيخ عبد الله ، وعلى المُحقّقين : المَلاّ صالح ، والمَلاّ إبراهيم .

ثم قصد نواحي « كوى » و« حرير » ، فأخذ عن الملا عبد الرحيم الزيادي المعروف « بمَلا زاده » ، وأخذ عن غيره أيضاً . ورجع مرة أُخرى إلىٰ «السليمانية» .

ثم قدم بغداد ، وفيها قرأ « مختصر المنتهى » في الأصول ، ثم عاد إلى محلّه المأهول .

وحيث حلَّ من المدارس كان فيها الأتقىٰ ، الأورع ، السابق في ميادين التحقيق . . . لا يُسأل عن مسألة إلا ويجيب بأحسن جواب ، ولا يُمتحن بعويصة من « تحفة ابن حجر » ، أو « تفسير البيضاوي » ؛ إلاَّ ويكشف عن وجوه خرائد فوائده النقاب . وهو يستفيد ويفيد ، ويقرِّرُ ويحرر ويجيد ، إلى إنصاف وذكاء خارق ، وقوّةِ حفظٍ بذهن حاذق ، مع تواضعه لدى الأساتذة والأقران ، وتجاهله عن كثير من المسائل مع العرفان . . . . فاشتهر خارقُ علمه ، وطار إلى الأقطار صيتُ تقواه وذكائه وفهمه ، إلى أن رغب بعض الأمراء في نصبه مدرِّساً قبل التكميل في إحدى المدارس ، وأن يوظّف له وظائف ويخصَّه بالنفائس ؛ فلم يجبه إلى هذا المرام ، زاهداً فيما لديه من الحطام ، قائلاً : إنِّي الآن لست لهذا المقام .

وتابع جولته ، فذهب إلى « سنندج » ونواحيها ، وقرأ العلوم الحسابية والهندسية ، والاصطرلابية والفلكية على العالم الشيخ محمد قسيم السنندجي .

ثم عاد إلى وطنه ، وبعد الطاعون الواقع في « السليمانية » سنة ثلاث عشْرة ومئتين وألف ، وُلِّيَ التدريس في مدرسة أجلِّ أشياخه السيد عبد الكريم البرزنجي المتوفَّى في هذا الطاعون . وقد قضَى مولانا خالد عهدَه في التدريس ؛ غير راكن إلى الدنيا ؛ ولا إلى أهلها ، مقبلاً على الله تعالى ، متبتِّلاً إليه بأصناف العبادة ؛ فرضها ونفلها ، لا يتردَّد إلى الحكام ، ولا يحابي أحداً في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتبليغ الأحكام ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، وهو نافذُ الكلمة ، محمودُ السيرة ، يأخذ بالعزائم ، حتى صار محسودَ صنفه ، عزيزاً في وصفه ؛ مع الصبر على الفقر ، والقناعة .

الرحلة الحجازية : وقد جذبه الشوق إلى حج البيت ، وزيارة روضة خير الأنام سيِّدنا محمَّدٍ ﷺ ، فخرج من بيته متجرِّداً عن العلائق ، قاصداً الأراضي المقدسة عن

طريق « الموصل » ، و« ديار بكر » ، و« الرها » ، و« حلب » ، و« الشام » . وفي دمشق اجتمع بالعلماء ، ثم تركها بصحبة مدرس دار الحديث فيها الشيخ محمد الكزبري رحمه الله تعالى .

وعندما وصل المدينة المنورة ، صلىٰ الله على سيِّدنا محمد ، ـ ساكنها ـ وسلَّم تسليماً ، مَدَح سيدنا رسول الله ﷺ بقصائدَ فارسيةٍ بليغة .

وكان ـ فيما يبدو ـ مولَعاً بالصالحين ؛ يسأل عنهم ، ويخفُّ إليهم ، ويتتبَّع آثارهم ، فاجتمع في المدينة المنورة بعالم يمني فاضل ، نصحه بنصائح منها : لا تبادر بالإنكار على ما ترى!! (أي : في مكة المكرمة مما يخالف ظاهرُه الشريعةَ) .

ووصل مولانا خالد إلى مكة المكرمة ، وهو مصمِّم على العمل بتلك النصيحة . وباكَرَ الحرم يوم الجمعة ليكون « كَمَنْ قَدَّمَ بَدَنَةً مِنَ النَّعَمِ » . وبينما هو جالس إلى الكعبة الشريفة يقرأ « الدلائل » ، إذ رأى رجلاً ذا لحية سوداء ، عليه زيُّ العوام ؛ قد أسند ظهره إلى الشاذروان ، ووجهُه إلى مولانا خالد .

قال مولانا خالد رحمه الله تعالى : « فحدَّثتني نفسي أنَّ هذا الرجل لا يتأدَّب مع الكعبة ، ولم أُظهر المَعْتَبَة . فقال لي : يا هذا ؛ أما علمت أن حرمةَ المؤمن عند الله أعظمُ من حرمة الكعبة ! فلماذا تعترض عليَّ (استدباري الكعبة وتوجُّهي إليك) ؟! أما سمعت نصيحة مَنْ في المدينَة ؟! فلم أشكَّ أنَّه من أكابر الأولياء (وقد تسربَل بأمثال هذه الأَطْمار عن الخلق) !! فانكببت على يديه ، وسألتُه العفو ، وطلبت منه أن يرشدني إلى الحق . فقال : فتوحُك لا يكون في هذه الديار ، وأشار بيده إلى الديار الهندية ، وقال تأتيك إشارةٌ من هناك ، فيكون فتوحُك في هاتيك الأقطار . فأيست من تحصيل شيخ في الحرمين يرشدني إلى المرام ، ورجعت بعد قضاء المناسك إلى الشام » .

وهكذا توجَّه مولانا خالد إلى دمشق بصحبة الشيخ محمد الكزبري رحمه الله تعالى ، فسمع من هذا المحدِّث ، وأخذ عنه ، وفي دمشق اجتمع ثانية بعلمائها ، ثم غادرها قافلاً إلى « السليمانية » ، حيث كانت تنتظره مهمة التدريس هناك .

الرحلة الهندية : وذات يوم أتى « السليمانيةَ » رجلٌ هندي ، اجتمع به مولانا خالد ، وأظهر أمامه الحُرقَة والشوق إلى مرشد كامل . فقال الهندي : إن لي شيخاً

عارفاً بمنازل السائرين إلى ملك الملوك ؛ خبيراً بدقائق الإرشاد والسلوك ، وقد سمعت إشارة بوصول مثلك هناك إلى المراد . وشوّقه إلى المُهَاجَرة .

لقد كان ذلك الشيخ هو العالم العامل المتجرّد عمّا سوى الله تعالى : حضرة مولانا عبد الله الدهلوي ؛ شيخ مشايخ الديار الهندية ، قدس الله سره .

وفي سنة أربع وعشرين ومئتين وألف رحل مولانا خالد عن طريق « الرَّيِّ » ؛ قاصداً الديار الهندية ، فدخل « بسطام » ، و« خرقان » ، و« سمنان » ، و« نيسابور » ، و« هراة » .

ولمّا غادر هراة ودَّعه علماؤها بمسير أميال ؛ لما شاهدوا فيه من بديع الحال . وتابع طريقه ماراً بـ « قندهار » ، و« كابُل » ، و« لاهور » . ومن « لاهور » سار إلى قصبة فيها المولى ثناء الدين النقشبندي ، هذا الوليُّ العالم المعمَّر هو أخٌ في الله للشيخ عبد الله الدهلوي .

قال مولانا خالد : « فبتُّ في تلك القصبة ليلة ، فرأيت في واقعة ـ أي : في حلم ـ أنه ـ أي : المولىٰ ثناء الدين ـ قد جذبني من خَدِّي بأسنانه يجرُّني ؛ وأنا لاأنجر !! . فلمّا أصبحت ولقيتُه قال لي ـ من غير أن أقصَّ الرؤيا عليه ـ : سرْ علىٰ بركة الله تعالىٰ إلى خدمة أخينا الشيخ عبد الله . فعرفتُ أنَّه قد أعمل همَّته العليَّة ليجذبني ؛ فلم يتيسر (له ذلك) ، لقوّة جاذبيةِ شيخي (الذي فتوحي على يديه) » .

وانطلق مولانا خالد من تلك القصبة ، يقطع الأنجاد والأوهاد إلى أن وصل إلى دار السلطنة الهندية ، وهي المعروفة بـ « جهان آباد » . وقد بلغ مرامَه بمسيرة سنةٍ كاملة .

قال مولانا خالد عن شيخه : « وقد أدركتني نفحاتُه وإشاراته قبل وصولي بنحو أربعين مرحلة ، وهو أخبرَ قبل ذلك بعض خواصِّ أصحابه بوفودِي إلى أعتاب بابه » .

وليلةَ دخوله « جهان آباد » أنشأ قصيدته العربية الطنَّانة ـ من بحر الكامل ـ يذكر فيها وقائع السفر ، متخلّصاً إلى مدح شيخه ومطلعها :

كمُلَتْ مَسَافَةُ كَعْبَةِ ٱلآمَالِ حَمْدَاً لِمَنْ قَدْ مَنَّ بِالإِكْمَالِ

وفيها يقول :

وأَنَالَنِي أَعْلَىٰ ٱلمَآرِبِ وٱلمُنَىٰ أَعْنِي وِصَالَ ٱلمُرْشِدِ ٱلمِفْضَالِ

مـنْ نـوَّرَ ٱلآفـاقَ بَعْـدَ ظَـلاَمِهَـا   وَهَدَىٰ ٱلْخَلاَئِق بَعْدَ طُوْلِ ضَلاَلِ

ويقول أيضاً :

سلَبَ ٱلهَوَىٰ لُبِّيْ فَمَا فِي خَاطِرِي   غَيْرُ ٱلحَبِيْبِ وَشَوْقُ طَيْفِ وِصَالِ
قدْ حَانَ حِيْنُ تَشَرُّفِي بِوِصَالِهِ   مَـنْ لِـيْ بِشُكْـرِ عَطِيَّـةِ ٱلإِيْصَـالِ

ويدعو الله :

فـٱرْزُقْ ؛ إِلٰـهَ العَـالَمِيْـنَ بِحَقِّـهِ   أَدَبـاً يَلِيْـقُ بِـذَا ٱلجَنَـابِ ٱلعَـالِـي
وأَمِـدَّنَـا بِلِقَـائِـهِ وَبَقَـائِـهِ   وَعَطَـائِـهِ وَنَـوَالِـهِ ٱلْمُتَـوَالِـي
زِدْنَا حُضُوراً فِي حُضُورِ قِبَابِهِ   أَدِمْ ٱلـوَرَىٰ بِحِمَـاهُ تَحْـتَ ظِـلاَلِ

وبوصوله إلى هناك تجرَّد عمَّا معه ، وأنفقه كلَّه على المستحقِّين . وأخذ الطريقة النقشبندية عن حضرة الشيخ عبد الله الدهلوي ، فلم يمض عليه نحو خمسة أشهر حتَّىٰ صار من أهل الحضور والمشاهدة . وبشَّره شيخه ببشارات كشفية قد تحقَّقت بالعيان ، فلم تكمُلْ عليه السَّنَة حتَّىٰ صار الفرد العلم .

وأجازه شيخُه بالإرشاد ، وخلَّفه في الطرائق الخمس ، وأجازه بجميع ما يجوز له روايته ، ثم أرسله ليرشد المسترشدين ، ويربِّي السالكين ، وشيَّعه بنفسه نحو أربعة أميال ، وقد قضىٰ أياماً طوالاً في الطريق لم يطعم فيها طعاماً ، ولم يشرب ماءً ، وكان مكتفياً بالذكر والعبادة .

فوصل « السليمانية » سنة ست وعشرين ومئتين وألف ، وخرج منها إلى بغداد ؛ فحل في زاوية سلطان الأولياء الباز عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه ، ثم عاد إلى « السليمانية » .

أحداث السليمانية : وفي « السليمانية » شرع مولانا خالد يصلح ما فسد ، ويقوِّم ما اعوَجَّ ، ويبني ما انهدم ، ونشرت شجرته المباركة ظلالها ، وآتت أكلها ؛ فأقبلت عليه الجموع ، ونابذه فريق بالعداوة ، وكان كما قال الشاعر :

ما ضَرَّ أَهْلَ ٱلفَضْلِ طَعْنُ مُكَابِرٍ   فَٱلغُصْنُ يُرْمَىٰ بِٱلحِجَارَةِ مُثْمِرَا

قال العلاَّمة ابن عابدين رحمه الله تعالى : « ولم يزل هذا الإمام مبتلى بعداوة الحساد ، على عادة السادة الأمجاد ، فيُشِيعون عنه الزور من الكلام ، ويسعون به إلى الأمراء والحكام ، فيتضاءلون عند الأنام حقارةً ، ويزداد كوكبه إضاءة وإنارة ؛

حسَدُوا ٱلفتَىٰ إِذْ لَمْ يَنَالُوا سَعْيَهُ فَـالْكُـلُّ أَعْـدَاءٌ لَـهُ وَخُصُـومُ
كضَرَائِرِ ٱلحَسْنَاءِ قُلْنَ لِوَجْهِهَا حَسَـداً وَبُغْضـاً:إِنَّـهُ لَـدَمِيْـمُ».

وقد لجأ الخصوم إلى ضروب من أساليب المكر بهذا الإمام ، فناظروه أوّلاً ، لكنَّ الله قد أنزل بهم أشدَّ الهزائم على يديه ، وجعل التوفيق حليفَه ، ثمَّ لما استيأسوا من أن تهبَّ عليهم نسماتُ العوز ؛ بعثوا إلى الشيخ يحيىٰ المزوري في « الموصل » يستنصرونه ، ويدعونه لمناضلة هذا الإمام ، قالوا في رسالتهم إليه : « يجب عليك أن تتوجه حالاً إلى طرفنا لإفحامه ، ودفع مرامه ، وإلاَّ ! فقد عمَّ الضلال بين العباد ، وانتشر في البلاد » .

وعلى الفور ركب الشيخ يحيى المزوري مع جملة من فحول طلبته ، وتوجهوا إلى السليمانية .

ويبدو أن الشيخ يحيى هو من كبار علماء وقته ؛ يشار إليه بالبنان ، فقد جرى له على أبواب « السليمانية » استقبال كبير اشترك فيه وجوه المدينة ، وبلغ من الحفاوة به أن يتسابقوا في استزارته !! لكنَّ هذا الشيخ ـ لشدَّة اهتمامه بالأمر ـ توجَّه توّاً إلى حيث يقيم مولانا خالد ، واجتمع به ، وكان قد أعدَّ في ذهنه مسائل من المشكلات ليختبره بها ، ولشدَّة ما كانت الدهشة عظيمة عندما بدأ مولانا خالد بالكلام قائلاً : إنَّ في العلوم مشكلاتٍ كثيرةً ؛ منها كذا وجوابه كذا ، ومنها كذا وجوابه كذا . . . فذكر جميع الأسئلة التي كانت تراود فكر الشيخ يحيى ، وأجاب عليها كلِّها ! فطلب الشيخ يحيى من مولانا خالد أن يعفو عنه ، وصار من خواصِّ رجاله .

ولما كادت حيلهم أن تنفذ ؛ سلكوا سبيلاً أُخرى لتنفير الناس عن هذا الإمام ، فاستأجر كبيرُهم رجلاً يُدعى السيد إسماعيل ـ وكان هذا الرجل فقيراً ، حديدَ اللسان ، وقح الطويَّة ـ ولقَّنه رؤيا منامية مختلقة ، وأرسله يقصُّ هذه الرؤيا على حضرة الشيخ بمشهد من خلفائه وأتباعه .

فدخل السيدُ إسماعيل على حضرة مولانا الإمام بينما كان جالساً مع إخوانه في المسجد ، وانخرط معهم ، ثم صاح قائلاً : يا مولانا ؛ إني رأيتُ رؤيا في هذه الليلة ، وأريد أن أقصَّها عليك .

فقال له مولانا خالد : خيراً رأيت .

قال الرجل : رأيتُك مقلوع العينين ، مقطوع الأنف واللسان والأذنين ، مقطوع الفرج واليدين والرجلين ، وملقى في سُباطة قذرة .

فقال مولانا خالد مجيباً له : خيراً لنا ، وشرّاً لأعدائنا .

والتفت إلى الجماعة الحاضرين ، وقال : إخواني ؛ مَنْ أحبَّني فليكرم هذا الرجل . ثم التفت ، وأمر أخاه بأن يدفع لهذا الرجل ألف قران (من النقود الإيرانية) تساوي قيمتها ستة آلاف غرش جائزةً له على تلك البشارة .

واندهش الرجل من هذه المجاملة ، وانقلبت الكراهية الشديدة في أقلَّ من طرفة عين إلى حبٍّ قويٍّ متين ، وانكب الرجل على يدي مولانا خالد وقدميه . . . .

ولما أراد القيام قال له حضرة مولانا خالد : أتحبُّ أن أفسِّر لك رؤياك ، وأعلِّمَك تأويلَها !! فقال : نعم ؛ يا سيدي .

فأجابه رضي الله عنه قائلاً : أمَّا قلع عينيَّ ! ففيه إشارة إلى أنّي ما نظرتُ بهما إلى محرَّم قط . وأما قطع أنفي ! فلأني ما شممتُ به محرَّماً قطُّ . وأما قطع لساني !! فلأني ما اغتبت به أحداً قط . وأما قطع أذني !! فلأني ما سمعت بهما غيبةَ أحدٍ قط . وأما قطع يديَّ !! فلأني ما تناولت بهما مُحرَّماً قطُّ . . . وأما قطع فرجي !! فلأني ما أتيت به فحشاً أبداً والله على ما أقول شهيد . وأما إلقائي على المزبلة القذرة !! ففيه إشارة وبشارة بالنصرة على المنكرين ، وغلبة المعاندين بقوة إله العالمين .

وكأنَّ لهذه الكلمات سرّاً خاصّاً ، فقد اختطفت قلب هذا الرجل ، وأسرت لبَّه ؛ فغدا من مريدي مولانا خالد المخلصين ، وصرَّح بأنَّ تلك الرؤيا **افتراء واختراع** .

وعندما رأى الخصومُ أنَّ النار لم تحرق إبراهيم ؛ بل كَانت عليه برداً وسلاما ، ووجدوا أنَّ رجالهم ـ بل قُلْ : سهامهم ـ التي صوَّبوها إلى حضرة هذا الإمام ، لا تدخل ساحته ؛ إلاَّ ويجذبها مغناطيسه ، فتصير كالأقمار المنيرة ، تسبحُ وتدور في فَلَكه بيَّتوا أمراً جديداً ، فقد اجتمع رأيُ نحو مئتي رجل على قتله، واتفقوا على أن يقفوا له بالسلاح يومُ الجمعة خارج المسجد ؛ فإذا خرج قتلوه.

وخرج قُدِّس سرُّه خروج الأسد من عرينه ، والتفت إلى صفوف الأعداء ، ونظر

إليهم بعين الجلال ، فمنهم من شَرَد وولَّى الفرار ، ومنهم مَن سقط مغشيّاً عليه ، ومنهم مَن صاح مجذوباً» .

وفي سنة ثمان وعشرين ومئتين وألف رحل مولانا خالد إلى بغداد ، فألَّف كبير المنكرين رسالة مشحونة بتضليل مولانا خالد وتكفيره ، ووجهها إلى واليها : سعيد باشا ، يحرِّضه على إهانة هذا الإمام ، وإخراجه من بغداد ، فرمى هذا الوالي الرسالة ؛ وقال كلمته المشهورة «إن لم يكن حضرة مولانا الشيخ خالد مسلماً فمن المسلم ؟! سبحان الله !! ما صاحب هذه الرسالة إلا مجنون ، أو معاند أعمى الله تعالى بصيرته !» .

وما صنيع مَن يحاول طمس النجم الوقَّاد ، وإغراقَه في أكوام الأقذار ؛ إلاَّ أن يظنَّه قد هوى إلى صفحة الماء فيلقي عليها ما استطاع من أوساخ ، فما يكون إلاَّ أن يزولُ خيال النجم ويختفي ؛ كلما تعكَّر الماء وتكدَّر ، بينما يزداد النجم في أفقه تألُّقاً وضياء ، وإذا الأمر غير ما توهموه !! فالنجم الذي ظنَّوه في متناول أيديهم ، هو فوق ما ترقى إليه أبصارهم .

أحداث بغداد: وفي «بغداد» حادثتان هامَّتان جرتا لهذا الإمام مع محدِّث بغداد الكبير الشيخ علي السويدي رحمه الله تعالى . فقد كان أمير المؤمنين في الحديث الشيخ علي السويدي يتصدَّر حفلة في بغداد ؛ والحاضرون يصغون إلى حديثه باهتمام ، مأخوذين بسحر بيانه ، وعذوبة ألفاظه . وفي أثناء ذلك دخل عليهم مولانا خالد النقشبندي رحمه الله تعالى ، فانصرفت أُفئدة الحاضرين إلى جناب الشيخ خالد ، وتوجَّهت إليه القلوب ، وكأنَّ ذلك قد شقَّ على الشيخ علي السويدي ؛ فقال مخفياً تأثُّره : يا مولانا ؛ بئس ما يفعله أكثر علماء الأكراد اليوم !! .

فقال له مولانا خالد : ولِمَ ذلك ؟ فأجاب : لاشتغالهم في العلوم الفلسفية ، وهجرهم لعلوم الدين ؛ كالتفسير والحديث ، عكس ما يفعله علماء العرب !!

فقال قُدس سره بداهةً : كلا الفريقين طالب بعلمه الدنيا الدنيَّة ، وطلبُها بـ (قال أرسطو) . و(قالَ أفلاطون) خيرٌ من طلبها بـ(قالَ الله) و(قالَ رسول الله) ، فإنَّ الدنيَّ ؛ إن طُلب يُطلب بدنيّ مثله .

نعم ؛ لو كانوا طالبين الآخرة ، فيا حبَّذا ما يفعله أكثر علماء العرب. فخجل المحدِّث العلاَّمة السويدي ، وصار في ذلك المجلس لا يبدي ولا يعيد .

وقد حاول هذا المحدّث أن يَسْبُرَ غور مولانا خالد النقشبندي ؛ فدخل عليه ذات يوم ، وبعد السلام تلا الشيخ السويدي حديث الأولية ـ وهما واقفان ، ويدُ أحدهما بيد الآخر ـ وبعد تمام الحديث قرأ مولانا خالد أيضاً حديثاً أوَّلياً .

ثم جلسا ، وقرأ الشيخ علي السويدي ثلاثين حديثاً من الكتب الستَّة ، وقلب أسانيدَها ؛ امتحاناً على سبيل المغالطة !! وبعد فراغه شرع مولانا خالد قُدِّس سره وقرأ الأحاديث المذكورة ؛ وذكر أسانيدها الأصلية على وجه الصحة . فاستغفر السويدي الله مما خطر في قلبه ، ثم طلب السلوك على يدي مولانا خالد ، وحصل له ما حصل من منازل أهل التصوف .

الإرشاد في دمشق : وفي سنة ثمان وثلاثين ومئتين وألف حَلَّ هذا الإمام مع جملةٍ مِن أتباعه في مدينة دمشق ، وبادر على إحياء كثير من مساجدها التي آلت إلى الانهدام ، فكان يقيمُ فيها الصلواتِ والأذكار والأوراد ، ويرشد الخلائق إلى طريق السادة الأبرار ، وينشر علوم الدين ، ويربِّي المريدين .

وفي داره في القنوات بدمشق أقام الدروسَ الخاصَّة التي يحضرها أهل العلم والفضل ؛ كالمحدِّث الشيخ **عبد الرحمان الكزبري**،والشيخ **عبد الرحمان الطيبي** ، **وحسين أفندي المرادي** (مفتي الشام) ، والسيد **محمد أمين ابن عابدين** (أمين الفتوى فيها) ، والشيخ **عمر المجتهد** ، والشيخ **حسن البيطار** ، والشيخ **حسن الشطي** ، **وعمر أفندي الآمدي** ، وولده **طاهر أفندي** (مفتي الشام لاحقاً) ، **وعمر أفندي الغزي العامري** (مفتي السادة الشافعية) .

ولم يلهه عن هذا ازدحامُ أبوابه بالناس ، كما لم تشغله الرسائل التي كان يتلقاها من خلفائه ومريديه في أنحاء العالم الإسلامي ، أو المكاتبات التي كان هو يحرِّرُها إلى المدينة المنوَّرة ، وبيت الله الحرام ، والقدس الشريف ، و«إسلامبول» دارِ الخلافة ، و«دهلي» عاصمة بلاد الهند ، و«شروان» ، و«أزمير» ، و«كوى سنجاق» ، و«ملاطية» ، و«ساوجبلاغ» ، و«ديار بكر» ، و«السليمانية» ، و«بغداد» ، و«البصرة» ، و«طرابلس الشام» ، و«عكا» ، وغيرها . .

وظهر الطاعون في مدينة دمشق ، فقدَّم الشيخ أمامه فِلْذَتي كبده : عبد الرحمان ، ومحمد بهاء الدين ، ثم لحقهما ، ودفن معهما فوق تل النور في سفح جبل قاسيون .

قال ابن عابدين رحمه الله تعالى : «ولقد دخلت عليه أُعَزِّيه بولده الأخير ؛

فوجدته يضحك بوجه مستنير !! وقال لي : أُنا أَحمدُ الله ؛ حيث أجدُ في قلبي الحمدَ والرِّضا أكثرَ من الاسترجاع على مُرِّ القضا» .

شمائله : إذا ذُكِرَ أولياء الله تعالى ؛ فالناس ـ عدا المنصفين منهم ـ بين إفراط مَنْ يغالي في خلع النعوت عليهم ، وبين تفريطِ مَن يغلو بتنقُّصِهم . وقد عاصر مولانا خالدٌ رحمه الله تعالى بعضَ الناس من هاتين الفئتين : اِسمعْه يقولُ في إحدى رسائله «كما يجب التحرُّز عن إنكار الأولياء ؛ يجب التحرُّز عن الغلوِّ في الاعتقاد بهم» ، ويقول : «لا ينبغي الإصغاء إلى قول إسماعيل الأناراني فينا ، فوالله أنا دون ما يعتقدني هو بكثير» .

أمَّا ما كان من أمر الخصوم ـ وكم لقيَ الأذى منهم !ـ فإنَّه لم يقابل الإساءة إلاَّ بأحسن صنيع ؛ يشتمونه ، ويدعو لهم في ظهر الغيب . وقد قال : «إني لبريء مما نسبتُم إليَّ من فنون المثالب والفساد والافساد» .

ولئن عَيَّره الخصوم بما ليس فيه ؛ فما كان ليعيِّرَهم بما هو فيهم !! أنصت إليه وهو يخاطب أحدَ أتباعه قائلاً ما معناه : «لا جعلنا الله تعالى وإيَّاكم ممَّن فتح الله أبصارهم ، وأعمى بصائرهم ، حتى توغلوا في تنقيص الناس ؛ وغفلوا عن عيوب أنفسهم ، استقصَوا ذنوب إخوانهم ، وما تنبَّهوا لذنب من ذنوبهم !!» .

طُلب منه طردُ أحدِ أهل الطريقة ، فأجاب «ما أرى أحداً من فسَّاق المؤمنين إلاَّ وأعتقدُه أحسنَ مني ، لأنَّ إيمانَه ثابتٌ ، وفسقُه خفيٌّ عني ، ومثالبُ نفسي جليَّة لديَّ !! هذا ؛ والخاتمة مجهولة . . » .

بعث إلى الشيخ حسن الشهير بـ«الخطاط القوزاني» يوصيه بتوقير حملة القرآن والفقهاء والفقراء ، **وبسلامة الصدر** ، وبسماحة النفس ، وبسخاوة اليد ، وبشاشة الوجه ، **وبذل الندى** ، **وكفِّ الأذى** ، **والصفح عن عثرات الإخوان** ، والنصيحة للأصاغر والأكابر ، **وترك الخصومات** ، **وترك الطمع** ، وبالاعتماد في قضاء الحوائج على الله جلَّ جلاله ؛ فإنه لا يضيع من عوّل عليه ، وأن لا يرجو النجاة إلا في الصدق ، ولا الوصولَ إلى الله إلا في اتباع سيِّدنا محمَّد رسول الله صلى الله عليه وسلم سيِّد الخلق ، **وأن لا يظن أنَّه أفضلُ من أحد ، بل لا يرى لنفسه وجوداً ، وكلُّ مَن يتطاول عليه بالنميمة والحسد يفوِّض أمره إلى الله** . . » .

كتب إلى خلفائه في مدينة السلام (بغداد) يقول : «ولا تتداخلوا مع **الملوك**

والأمراء والأغوات وأعوانهم ، فإنَّكم لستم ممن له قوَّةُ إصلاحِ هؤلاء ، **ولا تغتابوهم ، ولا تسبُّوهم بطَراً وغروراً بزعم أنَّهم ظَلَمة ؛ وأنتم صلحاء ، فإنَّه عُجبٌ وجهل ، إذا ما منا أحدٌ ليس بظالم** ، بل عليكم بالدعاء لوليِّ الأمر وأعوانه بالتوفيق والإصلاح . . » .

وهذه الرقعة التي أرسلها إلى خلفائه في بغداد ذات أهمية خاصَّة ، ففيها يرشدهم إلى الابتعاد عن مواطن التُّهَم ، فيوصيهم بترك الترجِّي للعوامِّ عند ذوي السلطان ، قائلاً : «لا يوهمنَّكم أنَّ قضاء حوائج الإخوان من أعظم العبادات ، لأنَّه مخصوص بما إذا لم يتولَّد منه ما هو أكبر ـ أي : ما هو أكبر من تركه ـ وإذا تعارضت المفسدتان ـ : مفسدة عدم قضاء حوائج الإخوان ، ومفسدة الترجِّي عند ذوي السلطان ؛ فارتكاب أهونِهما لازمٌ ، والسعيد من اتَّعظ بغيره» .

وفي هذه الرسالة أيضاً أوصى خلفاءه بأن لا يُدخلوا في الطريقة مَن جعلوا العلم وسيلةَ الجاه وجمعِ الحطام ، والمتفكهين بالدنيا ، المنهمكين في الشهوات ، والبطَّالين الذين يحملون أثقالهم على رقاب الناس باسم الصلاح ، وقال : «اعملوا أنَّ أحبَّكم إليَّ أقلُّكم أتباعاً ، وعلاقةً بأهل الدنيا ، وأخفكم مؤنة ، وأشغلكم بالفقه والحديث . وقد ورد في بعض الأحاديث : «مَا ازْدَادَ رَجُلٌ مِنَ السُّلْطَانِ قُرْبَاً إِلاَّ ازْدَادَ مِنَ اللهِ بُعْدَاً ، وَلاَ كَثُرَتْ أَتْبَاعُهُ إِلاَّ كَثُرَتْ شَيَاطِيْنُهِ ، وَلاَ كَثُرَ مَالُهُ إِلاَّ اَشْتَدَّ حِسَابُهُ» ، وحينئذ لم يبقَ وجه للميل إلى تكثير السواد بهؤلاء إلاَّ الطمع ، وحبَ الشهرة والجاه ، وأخذ الدنيا بالدين ، وجميعُ هذه النيَّات فسادُها غنيٌّ عن البيان» .

ولعلَّه من قبيل الحرص على الدين أيضاً ، ما يُعرف عن هذا الإمام من نُدْرة قبوله الهدايا ، فقد أهداه أحدُ مروّجي طريقته ؛ وهو شيخ الإسلام في الدولة العثمانية ، ومفتي الأنام فيها : مكي زاده مصطفى أفندي (الموصوف بالعفة والاستقامة والصلاح) نسخةً من «القاموس المحيط» ، فأرسل مولانا خالد إليه يقول : « . . وكان الطريق إمَّا الردَّ ، وإمَّا القبول ؛ مع إتحافِ أحسنَ منها ، ولمَّا كان في الردِّ مظنَّةَ كسر الخاطر قبلناها ، والقبول عندنا من النوادر ، فخالفنا عادتنا رعايةً لحالكم ، وجبراً وتفريحاً لبالكم ، وحبوناكم ببعض الأدعية الفاخرة ، وهي أحسنُ منها عند أرباب الدنيا ؛ فضلاً عن أهل الآخرة» .

وربما تكون هذه الغَيْرة على عِزَّة الدين وسؤدده ورفعته من أسباب انقياد الأمراء

والسلاطين لهذا الإمام ، يستشيرونه في مهماتهم ، ويسعون في مرضاته ، ويرون دعاءه أحسن عدة لهم ، وأفضل ذخر لمستقبلهم .

ففي العراق ، لما استفحل الخلاف بين حكومة بغداد وبين أمراء البابان ، ووقعت الاضطرابات ، وخيف من دولة العجم المتاخمة ، اتجهت الأنظار نحو مولانا خالد لحسم مادة النزاع ؛ بدل أن تتجه إلى الآستانة مقر الخلافة يومذاك ، وعُقدت الآمال على هذا الإمام ، فبعث والي بغداد داود باشا رحمه الله تعالى إلى مولانا خالد يرجوه بإلحاح أن يبادر إلى إطفاء نار الفتنة . وهكذا أصلح الله ـ على يدي هذا الإمام ـ الأمور ، وجمع القلوب ، وأعاد الوئام .

ومن العراق إلى لبنان : لقد أضرمت الفتنة في تلك الربوع أيضاً ؛ فساق حاكم عكا وصيدا الجيش لإطفائها ، وأرسل إلى مولانا خالد مستمِدّاً يطلب الدعاء ، فكتب إليه مولانا خالد يوصيه وينصحه ويرشده ، ويقول له :

وحَيْثُ ٱتَّجَهْتُمْ صَادَفَتْكُمْ عِنَايَةٌ وَيَرْعَاكُمُ ٱلرَّحْمَانُ مِنْ كُلِّ جَانِبِ

وسرعان ما يزفُّ هذا الوالي بشارةَ الفوز إلى مولانا خالد ، فيكتب مولانا خالد إليه قائلاً : «أقرَّ الله تعالى عينكم ، وأيَّدكم بنصره ، وحفظكم عن رؤية نفسكم ، وأقامكم في اجتناب نهيه وامتثال أمره» .

ولمَّا كتب الوزير عبد الله باشا إلى مولانا خالد يلتمس الدعاء ؛ أجابه مولانا خالد : «القبولُ موقوفٌ على صفاء سرِّ الداعي ، وحسن استعداد المدعوّ له ، فإذا عارض دعاءُ الفقراء المساكين السهامَ الصائبة من أدعية المظلومين المضطربين ؛ فالغلبة لدعاء المضطر ، إذ لا حجابَ بينه وبين ربه ، ولو كان فاجراً أو كافراً ؛ فضلاً عن مؤمن وصالح» .

ولله درّ ليلى ؛ لقد أجمع العشّاق على استئثارها برائع الحسن ، وبديع الخصال !! بيدَ أنَّ كلَّ صبٍّ منهم لا يفتأ يترنَّم بالجانب الذي رآه وحده ، وما انكشف له منها ممَّا يسبي العقل ؛ من ضروب الجمال . . . فإذا استحوذت هذه الجوانب من شخصية مولانا الإمام على إعجابنا ، [فـ]ـإنَّ الذي استرعىٰ انتباهَ العلَّامة الحيدري هو إسلام بعضِ النصارى بين يدي هذا الإمام بمجرَّد أن يقع عليهم نظر مولانا خالد رحمه الله تعالى .

تدْعُو إِلَىٰ ٱلرَّحْمَانِ غُرَّةُ وَجْهِهِ وَيَتُوبُ يَوْماً مَا رَآهَا ٱلْمُذْنِبُ

أَبَـدَاً تَـرَاهُ لِلمَـرَاضِـي جَـانِحَـاً وَلَـهُ صَبَـابَتُـهُ إِلَيْهَـا تَجْـذِبُ

أمّا الشيخ محمد بن سليمان البغدادي الحنفي !! فيؤخذ من كلامه : أنَّ مَن لازم هذا الإمام ، وجالسه على بساط الأدب ؛ انتفع من لَحْظِه ؛ كما ينتفع من لفظه ، وسرت فيه أحوال هذا الإمام ، وغمرته أنواره ، فرزق رغبة في الله ، وإعراضاً عما سواه .

وهذا من حيث الفضلُ الإلٰهي حقٌّ عندي لا مريةَ في ثبوته ؛ ولا نزاع ، والشواهد على كون هذا الإمام مدرسةً حيَّةً من مدارس القرآن الكريم ، وكونِ صحبته مطلبَ الموفَّقين ، فإذا فازوا بها نسوا الأهلَ والمال والأوطان ، ثم لم يبتعدوا عن هذا الإمام إِلاَّ بأمر منه ، إذا أراد أن يوجِّهَهم إلى الأماكن البعيدة للجهاد والإرشاد ، وهم ـ في واقع الأمر ـ أقربُ ما يكونون قلباً وروحاً إليه ؛ **أقول** : والشواهد على ذلك كثيرة ! ـ على سبيل المثال ـ الشيخُ إسماعيل الشَّرَواني الخالدي الدَّاغستاني ، نوَّر الله مرقده ، الذي أخذ الطريقة عن مولانا خالد ، وكان في خدمته حيثما حلَّ أو ارتحل ، ولمَّا آنس مولانا خالد منه الاستعدادَ ؛ أمره أن يتوجَّه إلى شروان حاضرة البلاد القفقاسية ؛ خليفة عنه ، ومرشداً مأذوناً منه . . فامتثل ، وربَّى هناك العلماء ، وأرسلهم إلى أقاصي بلاد الروس من القازان والتتر حتى منتهى سيبريا ، ولعلَّ من ألمعهم الإمامين الجليلين الغازيين في سبيل الله : الشيخ شامل الداغستاني الشاشاني ، والشيخ فوزي مَلا اللذين حاربا دولة المسكوف مع مريديهما ستاً وثلاثين سنة متوالية بلا انقطاع .

وخلاصة القول : كان مولانا خالد رضي الله عنه وأرضاه كريمَ النفس ، حميد الأخلاق ، باذل الندى ، حامل الأذى ، حلو المفاكهة والمحاضرة ، رقيق الحاشية والمسامرة ، ثَبْت الجنان ، بديع البيان ، طلق اللسان ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، يأخذ بالأحوط والعزائم ، يتكفَّل الأراملَ والأيتام ، شديدَ الحرص على نفع الإسلام ، وبابُه محطُّ رحال الأفاضل ، ومخيَّم أهلِ الحاجات والمسائل ، لم يشغله الخلق عن الحق . . » .

وقد انتفع به ـ رحمه الله تعالى ـ خلق كثيرون من الأكراد ، وأهل «كركوك» ، و«إربل» ، و«الموصل» ، و«العمادية» ، و«عنتاب» ، و«حلب» ، و«الشام» ، و«المدينة المنورة» ، و«مكَّة المعظَّمة» ، و«بغداد» .

مؤلفاته : أنشد مولانا الشيخ خالد النقشبندي رحمه الله تعالى الشعر ، وكتب الشروح والحواشي ، وحرر الرسائل .

أما **شعره !** فمنه ما كان باللغة العربية ، وله ديوان فارسي . وقد شطَّر الشيخ محمد الفراقي عدداً من قصائد مولانا خالد ، وخمَّس بعضها .

وأمَّا **مؤلفاته** ؛ فمنها «حاشيته على نهاية» الرملي في فقه الشافعي إلى باب الجمعة ، و«الحاشية الهندية» ، و«حاشيته» على أحد كتب الحديث .

ولهذا الإمام من الشروح شرح مقامات حديث جبريل ، جَمَع فيه عقائد الإسلام ، وهو باللغة الفارسية . وله أيضاً «شرح مقامات» الحريري .

ومن **مؤلفات** مولانا خالد أيضاً «جالية الأكدار والسيف البتَّار في الصلاة على المختار» صلى الله عليه وسلم . وجُمعت رسائل هذا الإمام في كتاب اسمه «بغية الواجد في مكتوبات حضرة مولانا خالد» . وقد تكون من أهمها رسالة «العقد الجوهري في الفرق بين كسبَيْ الماتريدي والأشعري» ، وكان من دواعي تأليفها التماسُ بعض كبار العلماء من جنابه أن يبسط الفرق بين الكسبين بعبارة تزيل الغموض وتحلُّ الأشكال . ويضمُّ هذا الكتاب رقعتين : الأولى في عقيدة مولانا خالد ، والثانية عريضة رفعها رحمه الله تعالى إلى حضرة سيِّد الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم تسليماً .

ومن **الرسائل** التي يحويها الكتاب «رسالة في الفرق بين القضاء المبرم والقضاء المعلَّق» ، و«رسالة في آداب الذكر» للمريدين ، ورسالة «في تبيان المراقبات» ، ورسالة «في تحقيق معنى (أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد)» كتبها إجابة لطلب ثُلَّة من أفاضل دمشق .

ما كتب عنه : **كتابان** أحسبهما من أقرب الموارد للظمآن : أحدهما مطبوع ، واسمه «بغية الواجد» ، والآخر مخطوط[1] ، ألفه العلاّمه محمد أمين ابن عابدين ، واسمه «سل الحسام الهندي لنصرة خالد النقشبندي» . ومن حواشي الأول وخاتمة الثاني استقيتُ أغلبَ المعلومات الواردة في هذه الترجمة . أمَّا إذا ذهبتَ تبحث عن غيرهما !! فثمَّة كتب أُخرى ، ورسائل وردود ؛ حرَّرها العلماء للذبِّ عن ساحة هذا

---

(١) بل هو مطبوع أكثر من مرَّة.

الإمام ؛ لا إخالها تضنُّ عليك بفوائدها ، ومن أبرز ما صُنِّف في هذا المضمار كتاب «أصفى الموارد في ترجمة حضرة سيدنا خالد» للشيخ عثمان سند ، وكتاب «الحديقة الندية ، في الطريقة النقشبندية» ، و«البهجة الخالدية» للشيخ محمد بن سليمان البغدادي الحنفي ، ولا يبعد أن تجدَ في أحدها أطرافاً لم يتناولها الآخر ، وتزوَّد من كاتب بمعلومات لم يوردها غيره .

وقال العلامة محمد أمين ابن عابدين في مولانا خالد يرثيه ويذكر بعض فضائله :

أيُّ رُكْنٍ مِنَ ٱلشَّرِيْعَةِ مَالاَ !!   فَرَأَيْنَاهُ قَدْ أَمَالَ ٱلجِبَالاَ؟!
مذْ رُزِئْنَا بِأَوْحَدِ ٱلعَصْرِ عِلْمَاً   وَبَهَاءاً وَبَهْجَةً وَكَمَالا
وٱجْتِهَاداً وَطَاعَةً وَصَفَاءً   وَسَخَاءاً وَعِفَّةً وَنَوَالاَ
هوَ بَحْرُ ٱلعُلُومِ شَرْقَاً وَغَرْبَاً   وَيَمِيْنَاً وَقِبْلَةً وَشِمَالاَ
فإِذَا عَنَّ مُشْكِلٌ كَلَّ عَنْهُ   كُلُّ شَهْمٍ فَذَا يَحُلُّ ٱلشِّكَالاَ
مذْ تَجَلَّىٰ سَنَاهُ فِيْنَا أَرَانَا   كُلَّ بَدْرٍ وَقْتَ ٱلكَمَالِ هِلاَلاَ
وسَقَىٰ أَهْلَ عَصْرِهِ كَأْسَ قُرْبٍ   وَحَسَاهُمْ مِنْهُ ٱلرَّحِيْقَ ٱلزُّلاَلاَ
هوَ قُطْبٌ عَلَيْهِ دَارَتْ رَحَىٰ ٱلعِرْ   فَانِ وَهُوَ ٱلفَرِيْدُ قَالاً وَحَالاَ
هوَ شَيْخُ ٱلسُّلُوكِ مَنْ نَالَ هَدْيَا   مِنْ سَنَاهُ فَقَدْ تَزَكَّىٰ فِعَالاَ
ولِعُثْمَانَ ذِي ٱلحَيَاءِ وَذِي ٱلنُّوْ   رَيْنِ صَحَّ ٱنْتِسَابُهُ إِجْلاَلاَ
وبِهِ ٱزْدَانَ دِيْنُنَا وَطَرِيْقُ ، ٱلنَّـ   ـقْشَبَنْدِيِّ زَادَ مِنْهُ جَمَالاَ
مَا رَأَيْنَا كَعِلْمِهِ وَتُقَاهُ   وَلِجَدْوَاهُ مَا رَأَيْنَا مِثَالاَ
دمِثُ ٱلْخُلْقِ لَمْ يُكَدِّرْ صَفَاهُ   جَاهِلٌ رَامَ مِنْهُ شَيْئَاً مُحَالاَ
كثُرَ ٱلحَاسِدُونَ فَٱزْدَادَ هَدْيَا   مُذْ أَشَاعُوا ٱلرَّدَىٰ وَزَادُوا ضَلاَلاَ
ورَمَوْهُ بِٱلإِفْكِ ظُلْمَاً وَرَامُوا   ذُلَّهُ مُذْ رَأَوْهُ فَاقَ خِصَالاَ
فتَغَاضَىٰ عَنِ ٱلقَبِيْحِ وَأَبْدَىٰ   مَا بِهِ زَادَ رِفْعَةً وَجَلاَلاَ
أيَظُنُّ ٱلحَسُودُ يُطْفِيءُ نُوراً   قَدْ أَرَادَ ٱلإِلٰهُ أَنْ يَتَلاَلاَ!!
دأْبُهُ نَشْرُ حِكْمَةٍ وَعُلُومٍ   كَمْ بِهِ مُبْعَدٌ تَقَرَّبَ حَالاَ
كعِدَادِ ٱلنُّجُومِ أَتْبَاعُهُ فِي   كُلِّ قُطْرٍ بِهِ صَفَوا أَعْمَالاَ

كَـمْ لَـهُ مِـنْ خَلِيْفَـةٍ زَادَ قُـرْبَـاً وَٱمْتَطَىٰ فِي ٱلتُّقَىٰ مَقَامَاً تَعَالَىٰ
كَـمْ بِـهِ مَسْجِـدٌ أُعِيْـدَ سَنَـاهُ وَٱكْتَسَـىٰ مِـنْ جَمَـالِـهِ سِـرْبَـالاَ
ولَكَـمْ عَـالَ عَـاجِـزَاً وَفَقِيْـرَاً فَقَضَـىٰ مِـنْ نَـوَالِـهِ آمَـالاَ
ولَكَـمْ شَـادَ سُنَّـةً قَـدْ تَـدَاعَـتْ وَشَفَـىٰ بِـٱللِّسَـانِ دَاءًا عُضَـالاَ
ولَكَـمْ حَـازَ خَصْلَـةً قَـدْ تَسَـامَـتْ دُونَهَـا ٱلنُّجُـمُ فِـي عُـلاَهُ مَنَـالاَ
ومَــزَايَـا إِذَا أَرَدْتَ عِـدَادَ ٱلـ ـقُلِّ مِنْهَا فَلَسْتَ تُحْصِي ٱلرِّمَالاَ
قَـدْ أَجَـابَ ٱلإِلٰـهَ لَمَّـا دَعَـاهُ وَلِـدَارِ ٱلنَّعِيـمِ رَامَ ٱنْتِقَـالاَ
فبَكَتْـهُ ٱلعُيُـونُ دَمْعَـاً غَـزِيْـرَا فَكَـأَنَّ ٱلعُيُـونَ أَضْحَـتْ كِـلاَلاَ
خـالِـدُ ٱلقُطْـبُ إِنْ يَـزُلْ فَهُـدَاهُ خَـالِـدٌ فِـي ٱلأَنَـام لَيْـسَ مُـزَالاَ
فعَلَيْـهِ مِـنَ ٱلمُهَيْمِـنِ رُحْمَـىٰ كُـلَّ حِيْـنٍ عَلَـىٰ ثَـرَاهُ تَـوَالَـىٰ
ما سَرَىٰ فِي ٱلضَّمِيْرِ ذِكْرٌ خَفِيٌّ وَٱرْتَضَـاهُ سُبْحَـانَـهُ وَتَعَـالَـىٰ(*)

(*) هكذا وردت الترجمة بحرفيتها إلا المرثية، وإنما استفضت بالترجمة موسَّعةً تبركاً بذكر حياة ومناقب هذا الإمام الجليل رحمه الله تعالى وبخاصة رسالة كهذه ترتبط شخصياً بالرابطة الشخصية لتصل بين أنوار متسلسلة يستمدها المخلوق من خالقه جل جلاله.

الرسالة الخالدية في الطريقة النقشبندية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى.

من العبد الفقير المستهام خالد النقشبندي المتمسِّك باتباع سنَّة خير الأنام عليه أفضلُ الصلاة وأكمل السلام إلى الإخوان المخلصين الكرام من سُكّان دار الخلافة العظمى ـ لا زالت مصونةً عن كيد الخائنين، ومقرونةً بنصرةِ حامِيها وحامِي بلادِ المسلمين إلى يوم الدين؛ آمين ـ: السلام التامُّ والتحية والإكرام عليكم.

أما بعد؛ فقد وردت مكاتبُكم الدالة على صحَّة ذواتكم؛ فأورثت المسَرَّةَ المشيرةَ إلى ثباتكم على الطريقة السَّنية السُّنِّية مع كثرة مزاحمة المنكرين، فحمدت الله تعالى على ذلك مرة بعد مرة.

وقرع سمْعَ هذا المسكين أنَّ بعض الغافلين عن أسرار حقِّ اليقين يعدُّون الرابطةَ بدعةً في الطريقة، ويزعمُون أنها شيءٌ ليس له أصل؛ ولا حقيقة!! كلا إنها أصل عظيم من أصول طريقتنا العليّة النقشبندية، بل هي أَعظَمُ أسباب الوصول؛ بعد التمسُّك التامِّ بالكتاب العزيز وسُنَّة الرسول.

أصحاب الطريقة والرابطة

ومن جملة ساداتنا مَن كان يقتصر في السلوك عليها.

ومنهم مَن كان يأمر بغيرها أيضاً مع تنصيصه على أنها أقربُ الطرق إلى الفناء في الشيخ الذي هو مقدِّمَةُ الفناءِ في الله تعالى.

ومنهم من أثبتها بنص قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ فقال من السادات الكبار الشيخ عبيد الله المشهور بـ«خواجه» أحرار قُدِّس سِرُّه ما حاصله:

إنَّ الكينونةَ مع الصادقين المأمورَ بها في كلام ربِّ العالمين الكونُ معهم صورةً ومعنى، ثم فسّر الكينونةَ المعنويةَ بـ«الرابطة»، وهو عند أهله مشهور، وفي كتاب

«الرشحات» بالتفصيل مسطورٌ، فكأنهم لم يتصوَّروا معنى **الرابطة** اصطلاحاً، وإلاَّ لَمَا وسعهم إنكارُها، إذ هي في الطريقة: عبارةٌ عن استمداد المريد من روحانية شيخه الكامل الفاني في الله بكثرة رعاية صورته؛ ليتأدَّب معه ويستفيض منه في الغيبة كالحضور، ويتمُّ له باستحضاره الحضور والنور، وينزجر بسببها عن سفاسف الأمور، وهو أمر معلومٌ لا يتصوَّر جحودُه إلاَّ ممن كتب الله في جبهته الخسران والعياذ بالله تعالى؛ من المقت والحرمان، لأنه؛

إن كان ممن يعتقِد بالأولياء؛ فقد صرّحوا بحسنها وعِظَم نفعها، بل قالوا بها واتفقوا عليها؛ كما لا يخفى على مَن تتبّع كلماتِهم القدسيَّة، واستنشق نفحاتِهم الأُنسيَّةَ.

وإن كان مِمَّن يعتقد بكلام أئمة الشرع وأساطين الأصل والفرع! فقد قال بها مِن كلِّ مذهب من المَذاهب الأربعةَ أئمةٌ؛ تصريحاً وتلويحاً.

وها أنا أعدُّ لكم بعضَ ما ذكروه مع تعيين الأماكِين؛ ليراجعها مَنْ ليس في قلبه مرضٌ، ولا يُنكر على الأولياء بمجرَّد اتِّباع الهوى والغرضِ، فأقول؛ وبالله التوفيق وهو الهادي إلى سواء الطريق:

قد صرَّح بالتصرُّف والإمداد للروحانيين جماهيرُ المفسرين؛ في تفسير قوله تعالى ﴿لَوْ لاَ أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّه﴾ ومنهم صاحب «الكشاف» مع انحرافه عن الاعتدال، واتصافه بالإنكار والاعتزال، ولفظه:

وفُسِّر البرهانُ؛ بأنه ـ أي: يوسف عليه الصلاة والسلام ـ سمع صَوتاً: إيَّاكَ وإيَّاها، فلم يكترث له، فسمعه ثانياً، فلم يعمل به، فسمعِ ثالثاً: أَعْرِضْ عنها؛ فلم ينجُعْ فيهِ حتى مُثِّل له يعقوب عليه السلام عاضّاً على أنمُلتِهِ وقيل: ضربَ بيده على صدرِهِ إلى آخر ما قال.

مطلب
في أصول الاجتماع بالغير يقظة ومناماً

وقال من **الأئمة الحنفية** الشيخُ الإمام أكمل الدين في «شرح المشارق»؛ في حديث «مَنْ رآني».... إلخ: الاجتماع بالشخص يقظةً ومناماً لحصول ما به الاتحاد، وله خمسةُ أُصول كلية: ١ـ الاشتراك في الذات، أو ٢ـ في صفةٍ فصاعداً، أو ٣ـ في حال فصاعداً، أو ٤ـ في الأفعال، أو ٥ـ في المراتب. وكلُّ ما يتعقَّل من

المناسبة بين الشيئين؛ أو الأشياء لا يخرج عن هذه الخمسة، وبحسب قوّته وضعفِه يكثر الاجتماع ويقلُّ، وقد يقوى على ضدِّه فتقوى المحبَّة بحيث يكاد الشخصان لا يفترقان، وقد يكون بالعكس، ومَن حصَّل الأصول الخمسة ثبتت المناسبةُ بينه وبين أرواح الكُمَّل الماضين، واجتمع بهم متى شاء. انتهى.

وقال منهم: محشي «الأشباه» الشريف أحمد بن محمد الحموي في كتابه «نفحات القرب والاتصال بإثبات التصرف لأولياء الله تعالى والكرامة بعد الانتقال» ما خلاصته: أن الأولياء يظهرون في صور متعددة؛ بسبب غلبة روحانيتهم على جسمانيتهم، وحمل على هذا المعنى ما في بعض روايات الحديث الصحيح، قوله صلى الله تعالى عليه وسلم: «ينادى من كل باب من أبواب الجنة بعض أهل الجنة» فقال له أبو بكر رضي الله تعالى عنه: وهل يدخل أحد من تلك الأبواب كلها؟! قال: «نعم، وأرجو أن تكون منهم».

وقالوا: إن الروح إذا كانت كلية قد تظهر في سبعين ألف صورة، هذا في دار الدنيا؛ وفي البرزخ من باب أولى! لأن الروح فيه أغلب وأشد استقلالاً بسبب المفارقة عن البدن. انتهى.

ومن **الأئمة الشافعية** الإمامُ الغزالي في «الإحياء»؛ في باب تفصيل (ما ينبغي أن يحضر في القلب عند كلِّ ركن من الصلاة) ما نصُّه: وأَحْضِرْ في قلبك النبيَّ صلى الله تعالى عليه وسلم وشخصَه الكريم، وقل: السلام عليك أيها النبيُّ، وليصدق أملك في أنه يبلِّغه سلامك ويردُّ عليك ما هو أحسن منه. انتهى.

وقال منهم العلامة الشهاب ابن حجر المكيُّ (شيخُ شيخِ الشهاب الخفاجي) في «شرح العباب»؛ في بيان معاني كلماتِ التشهُّد ما نصُّه:

وخوطب ﷺ كأنه إشارة إلى أنه تعالى يكشف له عن المصلِّين من أمَّته حتَّى يكون كالحاضر معهم، ليشهد لهم بأفضل أعمالهم، وليكون تذكُّرُ حضوره سبباً لمزيد الخشوع والحضور، ثم أيَّده بما مرَّ عن «الإحياء».

ولشيخ الشيوخ الإمام العارف السَّهْرَوَردي الشافعي في «العوارف»؛ في (باب صلاة أهل القرب) وعبارته: ويسلِّم على النبي ﷺ ويمثّله بين عينَيْ قلبه. انتهى.

وصرَّح العلاَّمة الشهاب ابن حجر في أواخر شرح «الشمائل»؛ وفاقاً للجلال السيوطي في كتابه «تنوير الحَلَك في رؤية النبي ﷺ والملك» أنَّه حُكي عن ابن عباس

رضي الله عنهما أنَّه رأى رسول الله ﷺ في النوم؛ فدخل على بعض أُمَّهات المؤمنين، فأخرجت له مرآته ﷺ؛ فرأى صورته ﷺ ولم يَرَ صورة نفسه. انتهى.

وهذا هو **الفناء في الرابطة في اصطلاح القوم**.

ولا يقال ليس الكلام في صورة النبي!!

لأنا نقول: إنَّ هذا ليس من خصائص الأنبياء، **وكلُّ ما هو كذلك؛ فهو مشترك بينهم وبين الأولياء**، ولا شكَّ في هذا عند أهله.

نعَمْ؛ مخاطبةُ غيره ﷺ في الصلاة مبطلٌ لها، وإحضارُ صورته فيها، والتسليم على صاحبها من خصائصِ حَضْرَةِ روحِ الوجود وصاحب المقام المحمود؛ عليه وعلى آله وصحبه الصلاة والسلام من الكريم الودود، وهو غيرُ مرادٍ فيما نحن فيه.

هذا؛ وقال منهم الحافظ الجلال السيوطي في رسالة حافلةٍ ألَّفها في مثل هذه المادة سمَّاها كتاب «المنجلي في تطوُّر الولي»، نقلاً عن الإمام السبكي الشافعي في «الطبقات الكبرى»: الكراماتُ أنواع.... إلى أن قال:

الثاني والعشرون: التطوُّر بأطوار مختلفة، وهذا الذي تسمِّيه الصوفية بـ«عالم المثال»، وبَنَوا عليه تجسُّد الأرواح وظهورَها في صور مختلفة من عالم المثال، واستأنسوا له بقوله تعالى ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً﴾.

ومنه قصَّة قضيب البان... ثم ذكر وذكر غيرَها. انتهى.

وقال منهم الإمام العارف الشَّعْراني قدس سره في كتاب «النفحات القدسية»؛ عند عدِّ آداب الذكر ما نصُّه:

السابع: أن يتخيَّل شخصٌ شيخَه بين عينيه، وهذا عندَهم آكدُ الآداب. انتهى بحروفه.

قلت: وليست الرابطة عندنا معاشر النقشبندية إلاَّ هذا، كما يشهدُ له ما في جميع كتبهم المعتمدة.

وذكر العلامة السفيري الحلبي من الشافعية؛ في «شرح البخاري» ـ عند قوله (ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ ٱلخَلَاءُ): إن الشيطانَ كما لا يقدر أن يتمثَّل بصورة النبي ﷺ؛ لا يقدر أن يتمثل بصورة الولي الكامل أيضاً بشرط ذكره ثمَّةَ.

وقال من أكابر الحنفية أيضاً العلاَّمةُ الشريف الجرجاني قدس سره؛ في آخر «شرح المواقف» (قبَيْل ذكر الفِرَق الإسلامية)، وفي أوائل حواشيه على «شروح

المطالع» بصحّة ظهور صور الأولياء للمريدين، وأخذهم الفيضَ منها؛ حتّى بعد الموت، وكذا ذكر في أوائل حواشيه على «شرح المطالع».

وقال منهم أيضاً الإمام العارف بالله تعالى الشيخ تاج الدين الحنفي النقشبندي العثماني قدس سره؛ عند بيان طريق الوصول إلى الله تعالى في رسالته المعروفة بـ«التاجية» ما نصُّه:

الطريقة الثالثة: الرابطة بالشيخ الذي وَصَل إلى مقام المشاهدة، وتحقّق الصفات الذاتية، فإنَّ رؤيته بمقتضى «هم الذين إذا رؤوا ذكر الله» تفيد فائدةَ الذكر، وصحبته بموجب «هم جلساء الله تعالى» تنتج صحبة المذكور إلى أن قال:

فينبغي أن تحفظ صورته في الخيال، وتتوجَّهَ للقلب الصنوبري حتى تحصل الغيبة والفناء في النفس؛ وإن وقفتَ عن التَّرقِّي، فينبغي أن تجعل صورة الشيخ على كتفك الأيمن، وتفرض من كتفك إلى قلبك أمراً ممتداً، وتفرض الشيخ ذلك الأمر الممتد، وتجعلَه في قلبك، فإنَّه يرجى بذلك حصولُ الغيبة والفناء. انتهى بحروفه.

وجرى عليه قدوةُ المحققين وزبدةُ المتأخِّرين الشيخُ العارف عبد الغني النابلسي الحنفي قدس سره، وأقرَّه في شرحه على «التاجية» المسمى بـ«مفتاح المعية».

وقال من **أئمَّة الحنابلة** الغوثُ الأعظم والإمام الأفخم السيِّدُ الشيخ عبد القادر الجيلي قُدِّس سرُّه ما معناه: إنَّ للفقير السالك طريقَ القوم رابطةً قلبية مع الأولياء، فيستفيد منهم بسبب تلك الرابطة باطناً، فلا بأسَ بعدم إكرامه ظاهراً، بخلافِ الأجنبيِّ الذي ليس له رابطة معهم، فيجبُ إكرامه. انتهى نقلاً عن الإمام السَّهْروردي؛ في (باب آداب المريد مع شيخه)؛ من «عوارفه».

وقال منهم أيضاً: العلامة شمس الدين ابن القيم في كتاب «الروح»: للروح شأن آخر غير شأن البدن؛ فتكون في الرفيق الأعلى وهي متصلة ببدن الميت بحيث إذا سُلِّم على صاحبها تردُّ السلام وهي في مكانها هناك. انتهى نقلاً عن الحافظ السيوطي في كتاب «المنجلي».

قلت: والنصوص بهذا المعنى أكثر من أن تحصى، وفيه دلالة ظاهرة على نوع تصرُّفٍ للأولياء بعد الموت. وقد ألَّف كثير من المحققين في ذلك رسائل واضحة المسالك، فليحذر الموفَّق عن إنكاره فإنه من المهالك.

وقال من **الأئمة المالكية**: الإمام الجليل صاحب «المختصر» المشهور الشيخ

خليل رحمه الله تعالى ما نصه: الوليُّ إذا تحقق في ولايته تمكَّن من التصور في روحانيته، ويعطي من القدرة التصوُّر في صور عديدة، وليس ذلك بمحال؛ لأن المتعدِّد هو الصورة الروحانية، وقد اشتهر ذلك عند العارفين بالله. نقله الحافظ السيوطي عنه في الكتاب المذكور. ونقل فيه أيضاً عن الإمامين الهمامين من المالكية: الشيخ أبي العباس المرسي، وتلميذه ابن عطاء الله السكندري قدس سرهما ما يقاربه.

فكيف يسوغ للعوامِّ إنكار مثل هذه الأحكام بعد تصريح الأولياء الكرام والعلماء الأعلام الذين هم أهل الحلِّ والإبرام، ومنهم مَنْ يتلقى العلوم اللدنية بلا واسطة من الحي الذي لا ينام!؟ واقتصرت عَلَى هذا القدر من الكلام خوفاً من الإملال والإسآم، وإلا! لألَّفت فيه مجلداً حافلاً بعون الملك المنعام. ولولا رعاية الشفقة على الإخوان في الدين من وقوعهم في إنكار طور الأولياء الكاملين لما أقدمت على إظهار بعض هذه الأسرار، لكن ألجأني إليه أمران:

الأمر الأول: الذبُّ عن الطريقة التي هي عروة الوصول، وسلَّم رضوان الله تعالى واتباع الرسول؛ التي أصولها التمسك بعقائد أهل السنَّة الذين هم الفرقة الناجية، وترك التقاط الرُّخَص، والأخذ بالعزائم، ودوام المراقبة، والإقبال على المولى، والإعراض عن زخارف الدنيا، بل وعن كلِّ ما سوى الله تعالى، وتحصيل مَلَكة الحضور المعبَّر عنه في الحديث الشريف بالإحسان؛ وهو «أَنْ تَعْبُدَ ٱللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ؛ فَإِنَّهُ يَرَاكَ». والخلوة في الجلوة؛ مع التحلِّي بالاستفادة والإفادة في علوم الدين، والتزيّي بزيِّ عوامِّ المؤمنين، وإخفاء الذكر، وحفظ الأنفاس؛ بحيث لا يخرج ولا يدخل نَفَس مع الغفلة عن الله الكريم، والتخلُّق بأخلاق صاحب الخلُق العظيم عليه الصلاة والتسليم.

وبالجملة فهذه الطريقة بعينها هي طريقةُ الأصحاب الأنجاب عليهم الرضوان؛ من غير زيادة ولا نقصان، وهي عبارةٌ عن عزائم الكتاب والسنة، ولهذا قال إمام الطريقة وغوثُ الخليقة الشيخُ بهاءُ الحقِّ والدين محمد البخاري المعروف بـ«شاه نقشبند» قدِّس سرُّه ما معناه: **مَن أعرض عن طريقتنا؛ فهو على خطرٍ في دينه**.

والأمر الثاني: التحذيرُ عن تمويه الغافلين وتزويرهم؛ لئلا يؤدِّي إلى إنكار هذه الطائفة وتكديرهم، ويسري من شومه ـ والعياذ بالله ـ شومٌ عظيم إلى سدِّ باب الفقر

الذي هو طريقُهم إلى الله تعالى، والفقراء الصَّادقون لا يزالون متضرِّعين إلى الله تعالى لتأييده وبقائه، وحفظ طريقهم من فتن الحُسَّاد ومكائدِ أعدائه.

خاتمة الرسالة ووصية المؤلف

وهذا الفقير يوصيكم بجميع ما تقدَّم من الآداب، ويخبركم بأنه يبرأُ إلى الله من كلِّ مَن يخالف السنة والكتاب؛ ولا يتبَع هدي النبي والأصحاب، ويأمرُكم بصالح الدُّعاءِ في الصباح والمساء، لدوام تأييد الدولة العليّة العثمانية التي عليها مدارُ الإسلام ونصرَتُها على أعداء الدين من الملاعين، والأعجام المرتدِّين اللئام، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته في البدءِ والختام، والحمد لله الملك العلام. . .

الفهرس